محطات في حياة الأستاذ عبد الله الجاسم

بسم الله الرحمن الرحيم.

والصلاة عل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمه الله.

أعزائي...

أنا سعيد في هذه الليلة باللقاء بهذا الجمع الطيب، وأيضا بهذه المبادرة الكريمة من قبل (ملتقى ابن عساكر) للاحتفاء بأخينا وصديقنا العزيز: الأستاذ عبد الله بن الحاج عبد المحسن الجاسم.

أبو عبد المحسن شخصية اجتماعية، عرف بحبه للقراءة واقتناء الكتاب الجيد. وله نشاط اجتماعي وثقافي يمتد لعقود من الزمن.

وللحديث عن أبي عبد المحسن، لابد من بداية. ولم أجد بداية أفضل من أن أبدأ من الحديث عن بلدة (المطيرفي)، وبالخصوص عن أهلها.

أتحدث عن أهلي في المطيرفي حديث المعاصر، حيث زوجة والدي الأولى من المطيرفي. ولنا تواصل مع أخوالنا من الحسن، ولا يزال مع الأبناء.

إحدى سمات أهلنا في المطيرفي الجميلة: روح المبادرة. فالمبادر لا يتنظر أن يطلب منه المساهمة في النفع العام أو الخاص. بل يقوم بالعمل والمهمة بنفسه، أو يقود تلك الجهود.

وإحدى الشواهد التي عاصرناها لهم لهذه السمة الجميلة: جهودهم في المطالبة بمنح أراضي خصيصا لسكان المطيرفي، المعروفة الآن (بالمطيرفي الغربية). فقد كان خلف هذه المشروع الكبير مطالبات كثيرة، وعمل دؤوب، وجهود مضنية، وبذل للمال والوقت ولسنوات. والفضل في ذلك يعود للأخ محمد بن حسين

الحماده (وفقه ا)

وقبل أن أغادر الحديث عن المطيرفي وأهلها، لابد من ذكر مثال تاريخي آخر لروح المبادرة في هذه البلدة الطيبة. وذلك عندما سعى كل من: (الحاج عبد المحسن بن صالح الخويتم، والسيد محمد غدير العلي) بالمطالبة لفتح مدرسة ابتدائية بالمطيرفي، وكان أبناء المطيرفي يدرسون في قرية الشقيق المجاورة. وعندما قال المسؤولون بإدارة التعليم (بأنه لا يوجد مبني للمدرسة، ولا يوجد إمكانات للبناء حاليا) هنا، هبّت روح المبادرة والعطاء، إذ عرض السيد غدير والحاج الخويتم فكرة (تأجير منزل في البلدة على حسابهم) وهذا ما حصل فعلا. فقد تم تأجير منزل الحاج محمد العبيدون (أبو أحمد). لعدة سنوات.

وللعلم، فإن الحاج عبد المحسن الخويتم، هو جد كل من المهندس جواد الخويتم وأخيه صديقنا بو كميل.

وفي هذه البيئة الفاعلة ولد عبد ا بن عبد المحسن الجاسم. ألحقته والدته في سن الرابعة بالكتاتيب (المطوع) لدى السيدة الفاضلة زهرة العلي (أم السيد باقر العلي). وفي السابعة من عمره التحق بمدرسة المطيرفي الابتدائية. وفي هذه المرحلة المبكرة، بدأت ميوله نحو القراءة والاطلاع تتضح.

وسألته يوما كيف كانت بداياتك مع القراءة؟

فقال: لقد وفقنا في البلد بحاضنة من قبل رجال على مستوى عال من الثقافة والوعي والمسؤولية. فكانوا يوفّرون لنا الكتب وبعض المجالات مع قلتها. ومن هؤلاء:

1. الحاج علي بن ملا أحمد الخليفة (أبو أحمد)

2. السيد تاج بن السيد علي العلي.

3. السيد عدنان الهاشم.

4. الحاج جواد الجاسم (بو كاظم)

5. الحاج محمد علي الخويتم (أبوعلي)

6. الأستاذ صالح بن علي الجابر

ولم يكن دور تلك الثلة توفير الكتب أو المجلات فقط، وإنما (وهو الأهم): التوجيه، والتحفيز، والتشجيع المعنوي، والمادي.

مثلا: كان بعضهم يقول: أريد أن تعدّ لنا ملخصا لهذا الكتاب. أو يسأل: ما هي فكرة هذه الكتاب.؟ وهكذا أثمر التشجيع مع وجود الرغبة وحب القراءة والاطلاع.

علي سبيل المثال: في المرحلة الابتدائية كان أبو عبد المحسن يحرص على شراء مجلة العربي الكويتية. كان سعرها: (ريال ونصف) وهو مبلغ كبير في ذلك الزمن، يدلك على ذلك أن العامل في النخيل في ذلك الزمان، كان يحصل على أجرة (خمس ريالات) في اليوم. ورغم أنه يعمل منذ الصباح الباكر حتى المغرب. وأتذكر ان أهلنا يعطونا نصف ريال للفسحة، نشترى ريال كيكة بربع ريال، غرشه بيبسي أو ميرندا بالباقي.

وهذا يعني أن قيمة المجلة ليست متاحة لدى ذلك الشاب اليافع. وأنه كان يدخر شيئا من مصروفه اليومي البسيط ليشتري مجلة العربي. وهذا مؤشر للبداية المبكرة لهذا الشاب اليافع نحوا القراءة.

أنهي الابتدائية في المطيرفي، ودرس المرحلة المتوسطة في (مدرسة العلاء بن الحضرمي بالمبرز) وكانت فترة مهمّة وفيها الكثير من التحديات.

في مرحلة انتقالية من سنّ الصبا لمرحلة الشباب. أصدقاء جدد ومرحلة دراسية جديدة، وبيئة وعادات مختلفة.

ومن التحديات اليومية، القدوم للمدرسة بواسطة باص (حافلة) يوميا، وهذه الحافلة تجوب عدة قرى لتنقل الطلاب لهذه المدرسة. وفي أثناء العودة، قد يتأخر أبو عبد المحسن قليلا، فيغادر الباص ويتركه، لأنه مشغول في نقاش مع معلم، أو في مكتب البريد الواقع بوسط المبرز، ليستلم (مجله هنا لندن)، وهي مجلة ثقافية توزّع مجاننا عبر البريد، تصدرها محطة البي بي سي، التي كانت تعرف آنذاك بالقسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية.

طبعا عندما يفوته الباص، فليس له من خيار سوى المشي من المبرز إلى المطيرفي، لأنه لا يملك أجرة

التكسي، ولا يحب أن يركب مع أي أحد. وتكرر ذلك عدة مرات.

وننتقل لمرحلة الشباب، حيث التحق (بشركة أرامكوا السعودية) في عام 1976 ميلادي. وعمره لا يتجاوز الثامنة عشر. وهذه مرحلة مهمة، وفيها تفاصيل كثيرة. فقد تنقل لعدة دوائر ومناطق أثبت فيها كفاءته وجديته، ومنها عمله في (حقل شيبة) لمدة سبع سنوات. هذا الحقل العملاق الذي يقع في منطقة وعرة. ويكفي أنه اكتشف عام 1968م، ولم يتمّ الإنتاج منه إلا في عام 1998 (أي بعد ثلاثين عاما من اكتشافه). وذلك بسبب تضاريس المنطقة، ومنها جبال من الرمال المتحركة.

كان أبو عبد المحسن هناك في أهم فترة للمشروع، وهي فترة التشغيل التجريبي (commissioning). وحياته العملية فيها تفاصيل كثيرة، قد نعود لها يوما ما.

أنتقل الآن لجانب مهم في حياته، هو نشاطه الثقافي والاجتماعي:

فمنذ مرحلة الشباب، كان منخرطا في النفع العام. على سبيل المثال:

- كان من المؤسسين والداعمين لنادي التاج بالمطيرفي.
- من مؤسسي مكتبة النادي، ومن المتبرعين الرئيسين بالكتب لها.
- المساهمة في زواجات القرية الفردية، والتغطية الإعلامية لتلك الزواجات.
- من المؤسسيين والداعمين والقائمين على جائزة الشيخ الأوحد للتفوق العلمي في المطيرفي.
- ومن المحطات المهمة في حياته، المبادرة على تأسيس موقع المطيرفي عام 2006/2007. الذي شعاره: الكلمة الصادقة والحوار الهادف.

وتأتي أهمية هذه الخطوة من حيث أنها جاءت في وقت كانت المواقع والمنتديات هي وسيلة التواصل الاجتماعي والدردشات ونقل الأخبار عبر النت.

وفي البداية كان الموقع لنشر أخبار المطيرفي. ثم تطور ليشمل المنطقة. وطالما شوهد الأخ أبو عبد

المحسن في المناسبات والفعاليات الثقافية والأدبية ليقوم بتغطية تلك المناسبات والفعاليات في عموم المنطقة. يرافقه أحد أبنائه للتصوير. وينشر تلك التغطيات في الموقع.

ولقد واجه هذا الموقع عقبات كادت أن تنهيه، ولكن إصرار أبي عبد المحسن على الحفاظ على هذا الموقع جعله صامدا حتى يومنا هذه. ويعتبر الموقع الآن أرشيف وثائقي لبعض الفعاليات ومواضيع البحث.

ولا يمكن الحديث عن أبو عبد المحسن دون الحديث عن مكتبته الخاصة. والتي تحتوي على أكثر من عشرين ألف كتاب. بذل في بنائها الكثير من الوقت والجهد والمال. وتعتبر رئته الثالثة. ومصدر لسعادته. وقد زرتها، فوجدتها: حديقة غناء تسر الناظرين.

أكتفي بهذا عن مسيرة وشخصية الأخ العزيز أبي محسن، وفقط أختم، بالإشارة إلى ثلاثة جوانب في شخصيته:

أولا: الرجل واضح مع الجميع (كتاب مفتوح). ليس لديه رأي في العلن وآخر في الجلسات الخاصة. قد تكون له بعض الآراء الخاصة التي ربما تستفز البعض، ولكنه يطرحها باحترام وبمحبة. وهذا يدل على ثقة في النفس، وشجاعة أدبية، تستحق التقدير. ودائما يقول: اختلف معي ولا تقتلني.

ثانيا: جانب آخر في شخصيته، الوفاء، ففي كتابه: (المطيرفي والذاكرة) كان الرجل وفياً لأهله ولمسقط رأسه. وكان في قمة الموضوعية مع الجميع.

وفي كتابه الأخير، لم ينس زملاء العمل والمعلمين والأصدقاء في داخل المملكة وخارجها.

وهذه الكتب جاءت في مرحلة التقاعد المثمر. ومن صور الوفاء، قد تراه يطرق أبواب أصدقائه حاملا لهم كتابا جيدا هدية منه. وكأنه يقول لنا طريقتي في الشكر أن أهدي كتابا.

ثالثا: أعتقد أنه يمتلك قدرا كبير من الصبر والجلد: (Worker Hard). لأن العمل في المحيط القريب، يعتبر بمثابة الطريق المليء بالأشواك. وقد يجلب الأذى للشخص وأهله. وإذا ما شاهدت شخصا ما يعمل في المجتمع ويواصل الطريق (ومنها الكتابة) فهذا ينم عن الصبر.

يقول الكاتب الكبير أن مانهيمر: النجاح في الكتابة يأتي لأولئك الذين لديهم القليل من الموهبة، والكثير من الصبر.

أخواني: أشكركم جميعا، وأجدها فرصة بالتنويه عن أهمية الكتابة عن المنطقة ورجالاتها. خصوصاً من لهم أثر في حياتنا، ومن حملوا راية العمل للصالح العام. ففي كل مدينة وقرية وحي وعائلة، هناك نماذج تستحق الكتابة والذكر والتوثيق. وإذا لم نكتب أنا وأنت عنها، فلن يأتي الغريب لتوثيق ذلك. إنه واجب أخلاقي.

شكرا لكم أخواني، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

للاستماع اضغط هنا